جامعة الأنبار
كلية التربية للعلوم الأنسانية
قسم التاريخ /الدراسات الأولية
المرحلة:الأولى/ المستوى الثاني
أستاذ المادة :أ.د.لطيف خلف الدليمي

المحاضرة العاشرة

ـ الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الاسلام وتتضمن:

أ : طبقات المجتمع العربي قبل الاسلام:

كان المجتمع العربي قبل الاسلام قائم على نظام الطبقات وبذلك قُسم المجتمع وفق ذلك الى ثلاث طبقات اجتماعية وعلى النحو الأتي:

اولاً : العرب الصليبية :وتشمل هذه الطبقة ابناء القبيلة الصرحاء الاحرار وعمادها وقوامها الذين يجمع بينهم الدم الواحد والنسب العريق والجد المشترك، وهم الذين كانوا يمثلون الطبقة الأساسية، أصحاب المنزلة الاجتماعية الرفيعة، فكانوا يتمتعون بالحرية والاستقرار والأمان في ظل حماية القبيلة، فاذا ما ارتكب احدهم اثما او جر على قبيلته ولالا، كان افراد القبيلة يتضامنون لنصرته ظالما كان او مظلوما، فامتلا قلبه بالفخار والثقة الزائدة بالنفس التي جعلته لا يتردد في استعمال حق الاحرار في واحد من اهم مظاهر الشرف والرفعة في هذا المجتمع وهو الاجارة .

ثانياً: الحلفاء : تمثل هذه الطبقة كل الافراد الذين لجأوا الى موالاة قبيلة اخرى ليست قبيلته الاصلية ،اي لم تربطهم بأبناء القبيلة رابطة الدم ، وانما على اساس الموالاة بالجوار .اذن هم افراد من قبيلة معينة تركوا قبيلتهم الاصلية للأسباب عدة منها أنهم ارتكبوا جرائم دفعت قبيلتهم الى التبرأ منهم وطردهم ،وفي مثل هذه الحالة تسمى (خلع) ويتم الاعلان عنه في الاسواق وبشكل علني امام الملأ وعامة الناس، وبذلك يلجأ الشخص المخلوع الى قبيلة اخرى وينظم اليها ويعمل بخدمتها ،ليصبح بذلك احد افرادها يتمتع بالحماية والحرية ويحظى بالأمان والعيش الكريم بالمقابل عليه أن يدافع عنها ويلتزم بحقوقها ،حاله حال ابنائها الاصليين .

وذكر المؤرخ العراقي صالح احمد العلي في كتابه محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام نماذج من هؤلاء الخلعاء ،نذكر منهم على سبيل المثال : قسم من

الصعاليك أمثال (تأبط شرا ، السليك بن السلكة ،و الشنفري)،الذين غالباً ما يجوبون الصحراء ويقطعون الطرق على المارة ويقومون بعمليات السلب والنهب .وفي نفس الوقت هناك من يبقى في قبيلته لما امتاز به من صفات حميدة وخصال كريمة ومن امثال هؤلاء نذكر عروة بن الورد العبسي ،الذي عرف بكرمه وفضله اذ كان يجمع فقراء ومعدومي قبيلته في خيمته ويطعمهم ويرعاهم .

أشتهر نظام الاحلاف في المجتمع العربي قبل الاسلام ،وهناك احلاف فردية أو جماعية بين قبيلة واخرى ،والاحلاف الجماعية أشبه بالمعاهدات ،ولعل أشهر وأهم هذا الاحلاف التي كانت ذات صفة دينية فضلاً عن صفتها السياسية هي:

١. حلف المطيبين
٢. حلف الفضول
٣. حلف الرباب
٤. حلف الحمس
٥. حلف قريش والأحابيش

اما عن صيغة عقد الحلف فغالباً ما تتم بوضع الايادي في دم الذبائح ويقسم المتحالفون على الحلف ليضفوا بذلك الصفة الدينية .واحياناً يضعون ايديهم في الطيب ومثاله حلف المطيبين.

ثالثاً : طبقة العبيد : وهم الطبقة الدنيا من طبقات المجتمع العربي قبل الاسلام ،هي طبقة السواد الأعظم من الفقراء المعدمين والارقاء، فكان لكل قبيلة عدد كبير من العبيد السود والبيض والمولدين، يعملون في خدمة اسيادهم الذين اشتروهم. وكان اغلب العبيد هم اسرى حرب وبعضهم الاخر تم شرائه من افريقية وقسم منهم بالولادة(اي ولد من ابوين هم بالأصل عبيد)، أو الدين (اي عجز الشخص عن إيفاء دينه فيأخذ أحد أبنائه عوض عن ذلك) أو القمار ،وبذلك يصبحون ملكاً للغير حاله حال السلع يباع ويشترى ،فضلاً عن عمله الاساس خدمة سيده ، من رعي وحدادة ونجارة والى غيره من الاعمال التي يأنف العرب القيام بها. فكان بنو مخزوم من قريش يملكون اعدادا كبيرة منهم، بينما كان الرقيق الأبيض يجلب من بلاد الفرس والروم عن طريق الشام والعراق.

وبذلك نلاحظ بان طبقة العبيد طبقة معدمة لا تمتلك اي حق من حقوق الحياة سوى العيش الذي يحدد طريقته سيده ،واحياناً يعتق بعض العبيد مقابل عمل معين قام به لسيده مقابل عتقه وجعله حر وذلك بتحرير رقبته.

ويذكر المفكر والمؤرخ احمد امين في كتابه فجر الاسلام بان لقب الهجناء يطلق على ابناء الاماء (الجواري) البيض من آباء عرب،في حين أسم أغربة العرب على ابناء الاماء السود .

ب ـ صفات العرب:

١. **الكرم : لعل أهم ما عرف به العرب قديماً وحديثاً من صفات هو الكرم والذي يمثل احدى مفاخرهم التي يحرصون عليها. فكانوا يتباهون بكثرة الاضياف وذبح الابل واطعامها المحتاج، لان صفة العطاء هي من اهم صفات السخاء لدى العرب ، والكريم عندهم هو من اعطى فحرم نفسه وبذل من حاجاته الضرورية لإغاثة الفقير .وعد العربي ان من أهم مظاهر السيادة هو الكرم. اذ كانوا يتفاخرون بكثرة الأضياف، وكان من اشهر من اتصف بالكرم من رجالات العرب كعب بن مناة، وقيس بن سعد، واوس بن حارثة، وعبد الله بن حبيب العنبري، وهرم بن سنان، وحاتم الطائي، الذي قال لخطيبته ((ماوية)) في معنى الكرم التي ذكرها ابن عبد ربه في كتابه العقد :**

اماوي قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنا عن طلابكم العذر

اماوي ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر

وقال في موضع اخر:

واني لعبد لضيف ما دام ثاويا وما في الا تلك من شيمة العبد

كان من مظاهر كرمهم ايقاد النيران ليلا لتمكين الغرباء من الاهتداء الى الأماكن التي يقطنونها، وكانت النيران توقد على المرتفعات. وقد بالغ بعضهم في الكرم فكانوا يستخدمون المندلي الرطب، وهي اعواد من العطر التي كانت تجلب من الهند حتى يهتدي بها العميان. وعن اشعال النيران على المرتفعات .

وفضلا عن ذلك كانوا يجتذبون الغرباء الى مواضعهم بنباح الكلاب، وكانت عادة معروفة عند العرب، فينبح الشخص الذي ضل طريقه، فتنبح الكلاب على نباحه فيهتدي الى مكان الضيف ،وكانت الكلاب تكافئ على ذلك بإعطائها قسم من لحوم الماشية التي تنحر للضيوف .

٢. **الوفاء : ومن صفات العرب الوفاء الملازمة لهم ، اذ عرفوا بالوفاء باعهود ونبذهم الغدر والكذب ،والوفاء عند العرب يعني عهداً لايستهان به وهو بمثابة ديناً يتمسكون فيه حتى وان كلفهم قتل ابنائهم وتخريب ديارهم ،وعرف عنهم المغالة في الوفاء للجار والحليف حتى يقدمونه على الابناء والإخوان، ووردت في كتب التاريخ شواهد تاريخية كثيرة عن الوفاء ،**

منها وفاء بن زهير المازني الذي قتل اخاه لغدره بجار له من اشهر قصص الوفاء عند العرب قبل الإسلام لذلك ارتفع الوفاء بالعهد الى قدسية الدين، وبات من يحنث بوعده اثما يتعرض لازدراء الناء ولعنة الله. ومن اجمل مظاهر التمسك بالعهود ان الحروب المشتعلة بين عشائر العرب وقبائلهم، كانت تخمد عندما يهل شهر الهدنة وذلك بلا رقيب او حاكم، فيعم الزمان ارجاء القرى والبوادي وتنقل السلع دون خوف او حذر. فالعهد في الصراء كان يعني النجاة. وكلمة الوفاء كانت تعني الفخر والنبل والجلال. ولعل من أنبل صور الوفاء بالعهد حفظ السموأل بن عاديا امانة امرئ القيس التي اودعها لديه، فلما اتاه الحارث بن ابي شمر الغساني ليأخذ منه ادرع امرئ القيس امتنع السموأل فأخذ الحارث ابنا له غلاما. وقال اما ان سلمت الادرع الى واما قتلت ابنك.

فأبى السموأل ان يخون امانته، فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه قطعتين، فقال السموأل في ذلك:

وفيت بذمة الكـندي إنـــي *** إذا خــان اقــوام وفيت

وأوصى عاديا يوما بان لا *** تهدم يا سموأل ما بنيت

بنى لي عاديا حصنا حصينا *** وبئرا كلما شئت استقيت

ولقد اوصى الإسلام بالوفاء بالعهود وشدد على الحفاظ عليها في قوله تعالى: (واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها)

٣. الشجاعة : لما كان الكرم والوفاء احد الصفات التي لازمت العرب ،فأن الشجاعة والفروسية لا تقل شأن عنهما ،اذ لا تعلوها منزلة، فعرفوا بشجاعتهم لا يهابون الموت ،الذي يفضلونه عن حياة الذل والهوان .

ويرى المؤرخ ابن خلدون أن عرب البادية كانوا أكثر شجاعة من أهل المدن لانشغال هؤلاء في النعيم والترف .واعتمادهم على الوالي والحاكم في الدفاع عن اموالهم وانفسهم.

وتذكر لنا الروايات التاريخية اسماء عدد كبير ممن اشتهر بالشجاعة والفروسية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر خالد بن جعفر بن كلاب العامري، وعتيبة ابن الحارث وعامر بن الطفيل وقيس ابن معد يكرب وعمرو بن كلثوم وعنترة ابن شداد، وقد وصف الاعشى شجاعة قيس بن معد يكرب بالبسالة والجرأة في ميادين الحرب حيث كان يقاتل بدون ترس، وذلك انه كان يقينا ان الانسان سيموت حتما فلكل امرئ اجل مكتوب وغيرهم.

ولقد اقر الإسلام الشجاعة والاقدام وجعلهما من صفات المؤمن بعد ان هذبهما وجعلهما في خدمة الحق ودفع العدوان فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ

فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الأنفال: ٤٥] ، وقال تبارك وتعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) } [الأنفال: ١٥، ١٦].

٤. العفة : لعل ما يميز العرب عن سواهم العفة وغض البصر عن النساء ،اذ عدو العفة من أهم شروط السيادة عندهم فضلاً عن الكرم والشجاعة ،وغالباً ما تفاخروا بعفتهم.وتتجسد تلك الصفة بقول عنترة بن شداد:

واغضن طرفي ما بدت لي جارتي *** حتى يواري جارتي مامواها

انـــي امرؤ سمـــح الخليقـة ماجد *** لا اتبع النفس اللجوج هواها

ج ـ العادات والتقاليد في المجتمع العربي قبل الاسلام:

سوف نتطرق لبعض العادات والتقاليد عند العرب قبل الاسلام ونقتصر على أهمها وعلى النحو الاتي :

١. الزواج وأنواعه:

تعد الأسرة عبر التاريخ ، وعند أكثر الأمم، وحدة اجتماعية، يرأسها الأب، وكان العرب يعتبرون القبيلة هي الوحدةَ السياسية والاجتماعية، لذلك أهتم العرب اهتماماً بالغاً وواضحاً باختيار زوجاتهم فحرصوا على أن تكون الزوجة ذات جمال وذكاء ومال ،كونها مسؤولة عن مستقبل العشيرة والجيل الجديد،كونها تؤدي دوراً سياسي واجتماعي في نفس الوقت ،سيما أن الزواج والمصاهرة يوثق العلاقة بين قبيلتين او اسرتين ،اذ أن رابطة الفرد مع قبيلة اخواله لاتقل قوة عن رابطته مع اعمامه مما له أثر كبير على التقارب الاجتماعي.

عرف العرب قبل الاسلام انواعاً واشكالاً من الزواج والتي لم تكن بدعة بل كانت معروفة عند الساميين وهي مراحل مرت على جميع البشر .ومن انواع الزواج هو:

أـ زواج البعولة: الذي كان منتشراً ومعروفاً عند العرب في كل مكان في الحضر والبدو،اذ

يخطب الرجل الى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها. و هذا الزواج مألوفاً بين العرب ، وهو زواج الناس هذا اليوم . القائم على الخطبة والمهر ، وعلى الإيجاب والقبول . وعندما ظهر الإسلام أقر هذا النوع من النكاح الشرعي بالشروط التي عينها الإسلام . ولم يحدد عدد الزوجات عندهم لذلك كان الرجل

منهم يتزوج ما طاب له . لذلك عندما جاء الاسلام نهى عن الزواج باكثر من اربعة ،واشترط وجوب العدل بينهن.

ب ـ زواج المتعة : وهو نوع ثان من الزواج عند العرب قبل الاسلام ويكون لمدة محدودة فاذا انتهى حصلت الفرقة ،بحسب العقد والاتفاق بين الطرفين .وينسب الاولاد في هذه الحالة الى امهاتهم .ولعل الغاية من هكذا نوع من الزواج بسبب السفر او الحروب وكثرة التنقل اذ يضطر الرجل الى هذا الزواج.

- ج ـ زواج الشغار: وفي هذا النوع من الزواج يزوج الرجل وليته إلى رجل أخر على أن يزوجه الأخر وليته ولا يكون بينهم صداق أو مهر.
- وقد حرم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الزواج ونهي عنه اذ قال
- : (لا شغار في الاسلام)

د- زواج المقت : وهنا المرأة تعامل كأنها ورث للأبناء اذ يتزوج أكبر أولاد المتوفى من زوجة أبيه أو يرث نكاحها، وله الحق في منعها من الزواج حتى تموت فيرثها، أو يزوجها إلى أحد أخوته بمهر جديد. ويمكن أن تدفع له الزوجة فدية ترضيه تفدي نفسها بها ليتركها. وقد حرم الإسلام هذا الزواج وذكر في القرآن " ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا".

هـ ـ زواج الأسر : وهن اسيرات الحروب ويطلق على المرأة الاسيرة النزيعة اي التي انتزعت من أهلها كرهاً، وتصبح ملكاً خاص لمالكها ،أن شاء تزوجها او زوجها لغيره او يبيعها بسوق العبيد،ويتم هذا النوع من الزواج بدون مهر .

هذا وقد عرف العرب انواعا اخرى من الزواج لكننا اقتصرنا على ماهو معروف ومشهور منها فقط.